الآثار الباقية من جامع السيدة المندثر في مدينة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية وأثرية)

د. لطيفة بورابة•

تتناول هذه الدراسة الآثار الباقية من جامع السيدة، الذي كان يعد من أهم المعالم الدينية في مدينة الجزائر العثمانية. وتتمثل في المنبر الرخامي الموجود حاليا في الجامع الجديد(ق. ١٦م)، والأعمدة الرخامية التي وضعت كواجهة رئيسة لجامع المرابطين (ق.١١م)، إلى جانب كتابة أثرية تحمل اسم مجدد الجامع والمحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة و الإسلامية.

وقد نقلت هذه الآثار إلى هذه الأماكن بعد تهديم الجامع من طرف الإدارة الفرنسية سنة ١٨٣٢م.

وقبل التعرض لدراسة هذه الآثار الباقية نتعرّف على هيئة الجامع، وموقعه قبل تهديمه من طرف الإدارة الفرنسية.

-جامع السيدة: (شكل رقم ١) (صورة رقم ١) و (صورة رقم ٢)

يعد هذا الجامع من أهم المعالم الدينية في مدينة الجزائر العثمانية. و كان يقع في القسم السفلي وهو مركز للأعمال الإدارية الحكومية في الفترة العثمانية، وقبالة دار الإمارة[١]، لذلك كان يتردد عليه حكام الجزائر في تلك الفترة[٢]، ويجتمع فيه الأعيان والتجار، وفيه يُنظر في الاتفاقيات التجارية والتسعير.[٣]

ورد اسمه بهذه الصيغة- جامع السيدة- في المصادر التاريخية منها مؤلف قانون أسواق مدينة الجزائر (١١٠٧- ١١١٧هـ / ١٦٩٥- ١٧٠٥م) لمتولي السّوق عبد الله محمد الشويهد الذي كتب عنه ما يلي: « ....شيوخ البلد حيث أرسل إلينا الداي بابا أحمد أنا عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد وسليمان شيخ البلد والسيد

• أستاذة محاضرة (أ) ، معهد الآثار- جامعة الجزائر-٢-

١ - تعد هذه الدار من أقدم المباني في مدينة الجزائر. وكانت تقع في القسم السفلي من المدينة. وبقيت مقرا للحكام العثمانيين إلى سنة ١٢٣٢ هـ/١٨١٦ م، حيث أصبح حصن القصبة مقرا للداي: (أنظر:لطيفة بورابة؛ « تهديم الفرنسيين دار الإمارة(دار الجنينة) بمدينة الجزائر.». في أعمال الملتقى الثالث حول دور الآثار وأهميتها في كتابة التاريخ الوطني، معهد الآثار، ٢٠١٣، ص ١٩٤

2 - (A).Devoulx ;Les édifices religieux de l'ancien Alger,Alger,Typographie Bastide, p.152

3- G. Delphin; Histoire des pachas d'Alger de 1515 à 1745, extrait du Journal Asiatique, Imprimerie Nationale, Paris, MDCCCCXXV, - p. 172

المنارة للاستشارات
www.

أحمد بن الفاسية والأمين وأمرنا بأن نجتمع ونستخلص هذه القيمة من مختلف الصناع مرة واحدة، فاجتمعنا كلنا في **جامع السيدة** ... وذلك عام ١١٠٨هـ ١٦٩٦م.»[٤]

كما جاء باسم جامع السيدة في عقد تحبيس ورد في عقود المحكمة الشرعية بتاريخ أواخر شهر ربيع الثاني عام ١١١٥هـ جاء فيه:

«الحمد لله بعد أن استقر على ملك المعظم الفخم المرعي المحترم السيد **صاري مصطفى ناظر المواريث المخزنية** بمحروسة الجزاير وقت التاريخ ابن الحاج محمد التركي المذكور مالكا يلصق آخره بأول هذا إنشاء الله تعالى جميع السدس الواحد الشايع من جميع الحمام الكاين قرب سيدي محمد الشريف نفعنا الله ببركاته أمين سند الجبل داخل البلد المرقوم المعروف بحمام ابن الأزعى المذكور معه حيث أشير بمضمن ما سطر في المشار إليه الاستقرار التام، اشهد الآن السيد مصطفى المذكور شهيديه على نفسه الكريمة أنه حبس جميع السدس الواحد الشايع من جميع الحمام المذكور على **المسجد القريب من دار الإمارة المعروف بجامع السيدة....**»[٥].

تاريخ تأسيس جامع السيدة:

اختلف المؤرخون حول تاريخ تأسيس جامع السيدة. فنقيب أشراف الجزائر أحمد شريف الزهار كتب في مذكراته عند حديثه عن ولاية محمد باشا المجاهد (١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م) في الفصل الذي سماه الحرب الثانية مع اسبانيا:

« لما كانت سنة ١١٩٧هـ قدم الأسبان للمرة الثانية مثل المرة الأولى.....وصاروا يرمون البومبة،..... وفي ذلك اليوم تهدم الجامع الذي بناه محمد باشا وهو جامع السيدة، وقد تسمى على اسم التي بنته وهي بنت مولاي الناصري[٦] ملك بجاية، لعله كانت هناك قرية و لم يكن بها مسجد، فبنته للخطبة، وكان مالكيا، فلما بنيت البلاد وضعت دار الإمارة بإزائه، وجعلوا له إماما حنفيا. »[٧]

ويضيف نفس المصدر أنّ جامع السيدة قام بتجديده محمد باشا[٨] بعد أن هدمته قنابل الأسبان في القرن الثاني عشر[٩] ، الثامن عشر الميلادي ، وزينه بأعمدة رخامية ، وكسا حيطانه بالزليج، حتى لا يرى البياض بداخله إلاّ المنبر وأعراص[١٠] الرخام.

---

٤ - (عبد الله بن محمد) الشويهد؛ قانون أسواق مدينة الجزائر (١١٠٧-١١١٧هـ/ ١٦٩٥م-١٧٠٥م)، تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦، ط١، ص ٩٣

٥ - المحكمة الشرعية، الوثيقة، علبة رقم ١٤١ رقم ٢٢.

٦ - الناصر بن علناس الحمادي مؤسس مدينة بجاية سنة ٤٦٠هـ- ١٠٦٧م ، (أنظر؛ رشيد بورويبة؛ الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، ١٩٧٧م، ص ٥٨)

٧ - الزهار (أحمد شريف) ، المصدرالسابق، ص ،٣١و٣٢.

٨ - يعتبر محمد باشا بن عثمان (١١٧٩هـ- ١٢٠٥هـ/ ١٧٦٦م- ١٧٩١م) من أشهر دايات الجزائر . ومن أهم أعماله المعمارية بنائه للأبراج منها برج السردين، وبرج الجديد، وبرج رأس عمار، كما عمل على جلب المياه من خارج مدينة الجزائر (الحامة، والقبة)، ووزعها على العيون

المنارة للاستشارات
www.

وهذا ما تؤكده الكتابة الأثرية المكتوبة بخط النسخي الشرقي على لوحة رخامية، هذا نصها:

حبّذا اثار جليل مشيدا*
ونعم الخير قد ابتنى مؤكدا*
اميرنا صاحب الفضل محمد باشا// اتقن بتصويب قبلته مسدّدا*
لحديث قيل ان فى الجنّة بيتا*
قد نالها من بنى لله تعالى مسجدا//

- وصف جامع السيدة:

قدّم المؤرخ الفرنسي **ألبير ديفولكس**(A .Devoulx) (ت ١٧نوفمبر ١٨٧٦ م)[١١] ، وصفا للجامع، واستعان في وصفه على أوغست لودرييهA. Lodoyer ، الذي كان عضوا في الجمعية التاريخية الجزائرية[١٢]، لأن ديفولكس كان صغير السن عند هدّم جامع السيدة في سنة ١٨٣٠م :« .. كان المظهر الخارجي للجامع بسيط، على شكل كتلة غير محدودة تقريبا، يطوقه عدد كبير من المنازل المتراصة، والمدمجة فيما بينها، دون تماثل ، تحجب رؤية السماء. وكان لجامع السيدة باب واحد من الخشب، ذات تقاسيم صغيرة ملونة بألوان مختلفة، يعلوه إطار رخامي أبيض منحوتا مشكلا عقدا. وكان هذا المدخل في الجهة الغربية، وتقريبا مقابل للمدخل الرئيس لقصر البشاوات، في الزاوية التي تشكل اليوم أقواس واجهة فندق الإيالة.[١٣]

والمنشآت العامة، واعتنى بالصهاريج والآبار، وأوقف عليها أوقافا لخدمة وصيانة مجرى الماء. . (أنظر؛ أحمد شريف الزهار، المصدرالسابق ، ص ص ٢٤ و ٥٧)

و يوسف أمير؛ أوقاف الدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية، (١٠٨١هـ- ١٢٤٦هـ/ ١٦٧١م- ١٨٣٠م)، شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩- ٢٠١١، ص٨٥)

٩ - من أهم الحملات الاسبانية على الجزائر نذكر: حملة شارل الخامس سنة ١٥٤١م، وحملة أوريلي (O'Reily) ١٧٧٥م، وحملتي دون بارسلون ١٧٨٣مو١٧٨٤م) للمزيد من التفاصيل(أنظر؛

Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de l'Armée expéditionnaire d'Afrique, 2eme édition, Paris, 1830, p. 35, 37,

فريد بنور؛ المخططات الفرنسية تجاه الجزائر (١٧٨٢- ١٨٣٠)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، ص٥٣٥)

١٠ - و المقصود بها الأعمدة.

١١ - كان محافظ الأرشيف العربي لإدارة أملاك الدولة بالجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر.

١٢ - أسسها الفرنسيون سنة ١٨٥٥م، (أنظر؛ أبو القاسم سعد الله؛ تاريخ الجزائر الثقافي، ج٥، (١٨٣٠- ١٨٥٤)، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٥، ص ١٣)

13 - A .Devoulx, Op, Cit, p154

المنارة للاستشارات
www.

وتحتل مئذنة الجامع الزاوية الشرقية، وبالتالي في الجهة المواجهة لباب المدخل، وكانت مؤطرة في الجهة العليا بطنف أو حاشية من البلاطات الخزفية المطلية، بالألوان الخضراء، والصفراء، والبيضاء.[١٤]

أما المظهر الداخلي للجامع فهو آية في الجمال والإبداع الفني، فبيت الصلاة تعلوها قبة أنيقة، وتحمل رسومات مبتكرة. هذه القبة موضوعة على الأروقة الجانبية للجامع بواسطة عشرين عمودا من الرخام الأبيض.»[١٥]

وهي الأعمدة الرخامية التي استعملت بعد تهديم للجامع سنة ١٨٣٢م في إنشاء رواق خارجي للمسجد الأعظم سنة ١٨٣٧م.

ويضيف ديفولكس أنّ الأروقة الجانبية لجامع السيدة استعملت بدورها من اليمين إلى اليسار كمقصورات خاصة بالحكام، وهي مزدانة بدرابزين خشبية منقوشة بطريقة دقيقة. وهذه المقصورات ذات قبيبات مزخرفة بالأرابسك)[١٦] بأسلوب راقي وذوق رفيع.

وكتبت على رقبة القبة الرئيسية للجامع آيات قرآنية بحروف كبيرة، باللون الذهبي على شكل خراطيش(Cartouches)»[١٧]

والجدير بالملاحظة أنّ ألبير ديفولكس لم يصف منبر الجامع (محور هذه الدراسة) الذي مازال موجودا إلى يومنا هذا في الجامع الجديد، والذي يعتبر تحفة فنية بين منابر مساجد مدينة الجزائر.

- الآثار الباقية من جامع السيدة.

أ- المنبر الرخامي. (صورة رقم ٤)

في سنة ١٨٣٢م، قرّرت الإدارة الفرنسية نقل منبر جامع السيدة إلى الجامع الجديد، بعدما تمّ هدم الجامع .

ويمثل منبر جامع السيدة آية في الجمال والإبداع الفني[١٨]. فهو مصنوع من الرخام الممتاز ذي اللون الأبيض الناصع الذي تقل فيه التعرقات والشروخ. وقد جاء على شكل قطع أو وحدات، ركبت وألصقت ببعضها بواسطة مسامير حديدية.

---

14 - Ibid

15 - Ibid

١٦ - أسلوب الأرابسك هو إبداع زخرفي رائع، تداخلت فيه الأشكال النباتية، ثم جرّدت ليصبح شكلها النهائي رمزا للأصل، ولكن بصورة جديدة محورة، ففيه تنمو أوراق الشجرة أو الزهرة، وتتفرع ليتداخل بعضها ببعض في أشكال معقدة لا نهاية لها ولا تترك فراغا إلاّ ملأته، فكل شكل هو امتداد للشكل الذي قبله، وبداية للشكل الذي يليه، (أنظر؛ لطيفة بورابة؛ التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائروالمدن السورية(حلب ودمشق)، دراسة أثرية فنية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠٠٩،ص ١٦٦)

١٧ - A.Devoulx, Op, Cit, p. 154

١٨ - وجد الفنانون المسلمون في المنابر حقلا واسعا لإظهار مواهبهم وإبداعاتهم الفنية حتى وصلتنا منابر تعتبر بحق تحف فنية رائعة وآية من آيات الفن والجمال في الحفر على التطعيم في

المنارة للاستشارات
www.

و يمتاز هذا المنبر بتعدد التشكيلات الفنية ذات الطراز الباروكي[١٩]، التي جاءت داخل وحدات أو أقسام غير متساوية الحجم. وأيضا كثرت فيه الفواصل الممثلة في الأطر، و الأشرطة المتعددة، لذلك يمكن تفصيلها كما يلي:

التصميم العام للمنبر وهو عبارة عن ريشتين: والتي تقدر أبعادها ب (٢٤٤سمx 221,5سم)، ويبلغ سمكها ٩ سم. كما يتكون من جلسة الإمام يبلغ طولها 90,5سم، وعرضها ٥٦سم.

يحتوي المنبر على باب معقود بعقد حدوي يبلغ ارتفاعه ١١٨سم، و يرتكز على دعامتين: يقدر طولها (٢٤٤سم) ، وسمكهما (١٢،٥سم)، ومزخرف بتشبيكات نباتية ملتوية. متمثلة في ثلاثة أشرطة، تقدر أبعادها ب(٦٦،٥سمX٧٧،٥سم) تفصلها عن بعضها البعض خطوط مستقيمة.وهي كالتالي:

الشريط الأوّل (السفلي): عبارة عن زخرفة نباتية قوامها ورقة الأكانتس[٢٠] (و التي أخذت شكل زهرة الزنبقة) مزدانة بعنصر الهلال الذي يعتبر أحد رموز الدولة الإسلامية، خاصة في الفترة العثمانية. تفرعت منها مراوح و مدت بالتماوج حسب مساحة الشريط، و ذلك اعتمادًا على التماثل و التدابر. و تتضح بداخلها جزئيات دقيقة جدًا.

أما الشريط الأوسط؛ فهو عبارة عن زخرفة كتابية على شكل حقل، بينها فواصل نباتية على شكل زهرة الزنبقة تنبثق منها فروع نباتية دقيقة . كتبت بخط النسخ. وتتكون الكتابة من:

الخشب أو الرخام أو الحجر على حد سواء،(أنظر؛ رجب محمد غازي ؛ « المنبر في العصر الإسلامي الأوّل»، في مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، ١٩٧٥، ٢٢١)

١٩ - وقد أطلقت عليه هذه التسمية لأنّه يتميز بعناصر زخرفية شاذة، كما يعني أصل الكلمة، وهو اللؤلؤة غير المهذبة وغير العادية أي المشوهة. ويطلق لفظ الباروك للدلالة على طراز فني يتميز بكثرة الزخرفة، والإفراط فيها وبالكتل الزخرفية، والتشكيلات الفنية المعقدة،أنظر:

Arseven, C.E, Les arts décoratifs Turcs, Milli Egitim, Basinevi Istanbul, (S.D). p. 70

٢٠- تدرج استعمال ورقة الأكانتس من عصر إلى عصر، ففي العصر اليوناني عرفت أنماطا شكلية متعددة ومتشعبة، وأدخلت في العصر الروماني ضمن العناصر الأساسية في تزيين التاج الكورنثي، وبعدها انتقلت إلى فنون أخرى مثل الساسانية والبيزنطية مواصلة طريقها من الرواج لتصل في النهاية إلى الفن الإسلامي، ولكنها في الفن الإسلامي صيغت بطريقة محورة تماما عما كانت عليه عند الشعوب الأخرى، وقد ولّد هذا الاختلاف والاستعمال الواسع لها نوعا من التطور على مستوى فصوصها التي تحولت في بعض الأحيان إلى أصابع رفيعة مسننة، حتى صارت تميل في التشابه إلى أوراق النخيل لدرجة الاختلاف أحيانا في التمييز بينهما. (أنظر؛ - لطيفة بورابة؛ التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائروالمدن السورية،ص ١٧٠)

المنارة للاستشارات
www.

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ بالله[٢١]

وتتخلل هذه الكتابة علامات الإعجام والتشكيل.

و جاء الشريط الثالث على شكل مثلث مفصص الأطراف يحتضن لفائف من المراوح ذات سيقان لورقة الأكانتس المحورة أو سيقان زهرة القرنفل[٢٢]،مركبة، متناظرة، ذات اللون الأصفر الذهبي.

نصعد إلى جلسة الإمام بواسطة درج صاعد إلى الأعلى متكون من تسع درجات يبلغ طول الدرجة القائمة ٢٩ سم وعرضها ٥٧ سم. والدرجة النائمة : طولها ١٥سم وعرضها ٥٧سم.

وتبلغ أبعاد جلسة الخطيب 90,5سم طولا، و ٥٦سم عرضا، وهي عبارة عن مساحة مربعة الشكل، ذات سقف مربع ، مزين بالشرافات[٢٣]. نحتت بوسطه ورقة الأكانتس بكل تفاصيلها. ويرتكز السقف على أربع أعمدة صغيرة ملساء بدون قواعد، أما تيجانها فكانت من الطراز الأيوني.

ويعلو سقف جلسة الإمام شكل مخروطي من ثمانية أضلاع، مزدانة بأوراق الأكانتس.أما ريشتي المنبر فيمكن تقسيمها إلى مساحات زخرفية مميزة عن بعضها البعض، نفذت بطريقة الحفر البارز. ونظرا لتشابه الريشتين اليمنى واليسرى في الزخرفة. سنقتصر على شرح واحدة منهما:

أخذت ريشة المنبر شكل مثلث قائم الزاوية، يتكون من عدّة وحدات:

المساحة الأولى جاءت على شكل خطين مستقيمين يبلغ عرضهما ٥٣سم، وطولهما ٢٨٣سم، يحتضن هذان الخطان زخرفة يبلغ عرضها ٣٥،٥ سم، قوامها ورقة الأكانتس المحورة، وأشكال هندسية ذات الشكل المخروطي ، الذي يشبه الدرابزين

---

٢١ - القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٨٨

٢٢- أعطي اسم القرنفل من طرف الأتراك، فحسب المؤرخ التركي أرسفان هي زهرة مجهولة المصدر، وتكون قد جاءت من إيران أو الصين.غير أن المصادر الإسلامية ذكرت تسمية القرنفل كأحد أهم المستوردات من بلاد الشرق الأقصى، حيث كانت تجلب من أندونيسيا وبالذات من سومطرة،(أنظر: لطيفة بورابة؛ التصوير في سقوف المنشآت المدنية ،ص ص ١٧٢-١٧٣)

٢٣ - وهي عناصر زخرفية لازمت العمارة الإسلامية منذ فتراتها المبكرة، وهي تحمل دلالة فنية جمالية بالدرجة الأولى، وفكرة إنشائية تشير إلى النهاية العلوية للجدران في الدرجة الثانية. وقد حوّل الفنان المسلم هذا العنصر الهندسي عن وظيفته المعمارية، إلى عنصر فني جمالي محض، واستعمل في التزيين على مختلف المواد، كالزخارف المحفورة في الجص والرخام والحجر والخشب والمعادن .وهي ذات أصل ساساني فارسي؛(أنظر؛ لطيفة بورابة « نماذج من الزخرفة الهندسية في عمارة جامعي أبي مدين والحلوي بتلمسان. ضمن أعمال ملتقى دولي بتلمسان ٢٠١١، تلمسان بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،ج١، ص٢٤٣

المنارة للاستشارات
www.

أما المساحة الثانية فهي عبارة عن مثلث قائم الزاوية(١٨٥سم x ٢٤٠سم)، بداخله مثلث صغير (١٢٨سم X ١٠٤سم)، نقشت فيه تشبيكات نباتية تنطلق من محور رئيسي هو عبارة عن ورقة الأكانتس محورة ، وتطوقها بالاستدارة مراوح رشيقة ملتوية دون أن تتشابك فيما بينها. ملئت بها المساحات حول المثلث. أمّا الشريط الخارجي المطوق لهذا المثلث الصغير فزخرف بواسطة المراوح.

أما القسم السفلي من المنبر الذي يقدر طوله ب ٢٢١،٥ سم فهو عبارة عن صف من العقود المحمولة على دعامات.

ب- الأعمدة الرخامية: (صورة رقم٥)

بعد هدم جامع السيدة من طرف الإدارة الفرنسية، نقلت أعمدته الرخامية سنة ١٨٣٦م إلى جامع المرابطين[٢٤]، ووضعت على الواجهة الرئيسة له. وهذا للأسباب التالية :

١- توسعة شارع البحرية[٢٥] في مدينة الجزائر.

٢- تهيئة ضواحي الجامع الكبير وذلك بإقامة صف من الأعمدة الرخامية في الواجهة الرئيسة للجامع. وهي أعمدة مصنوعة في إيطاليا و من بقايا جامع السيدة.

وتعود فكرة بناء هذه الواجهة إلى القائم بشؤون أبنية المدينة ستانيسلاس بروسون (Stanislas Bresson)، الذي اعتبرها من المنافع العامة، ومصلحة عسكرية ومحوا للذكريات الأليمة في نفوس المسلمين المتمثلة في الدمار التي اقترفته فرنسا غداة الاحتلال.

ومن هذا المنطلق دافع الملازم العام الفرنسي راباتيل Rapatel، أمام وزير الحربية الماريشال كلوزيل (Clauzel)عن هذا المشروع للحصول على ميزانية كافية لانجازه، مستخدما العبارات التالية:« **تنجز هذه البناية بطريقة فنية أنيقة جدا ، وملائمة للشعب الجزائري، وتكون الواجهة الرئيسة للجامع الكبير. ومكانا للاجتماع**

---

٢٤ - بنى يوسف بن تاشفين المرابطي المسجد الكبير في القسم السفلي من المدينة عام ٥٩٠هـ / ١٠٩٦م، أما المئذنة فبناها السلطان الزياني أبو تاشفين الأول سنة 723 هـ/ 1324م،(أنظر، رشيد دوكالي، المرجع السابق، ص ٤١)

٢٥ - نسبة إلى باب البحرية أو باب الجزيرة إحدى أبواب الجزائر المحروسة، الذي يقع قرب الميناء في الجهة اليمنى إذا ما وصلنا من ناحية البحر، و أصبحت تعرف منذ الاحتلال الفرنسي بباب فرنسا. وصف المؤرخ الأوروبي بيير بوايي (Pierre Boyer) في كتابه «الحياة اليومية في مدينة الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي»، بدقة متناهية الشارع الواسع لباب البحرية الذي يؤدي إلى المدينة، ذاكرا أنه من أوسع الشوارع ، بدليل أن المارة فيه يمكنهم رؤية السماء دائما، هذا على عكس الأحياء الداخلية الضيقة التي غالبا ما توصف بكونها تكاد تكون مثل الأنفاق حيث أنها مغطاة بعقود منكسرة. وفي هذا النوع من الشوارع يمكن أن تتقاطع دابتان محملتين؛(أنظر:

P. Boyer; la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Hachette, Paris, 1964, p.46

المنارة للاستشارات
www.

والتنزه لمرددين على الجامع. ليدركوا مدى احترام وحماية الإدارة الفرنسية للأماكن المقدسة.» [٢٦]

وهذه حالة استثنائية اجتمع فيها الفن والسياسية لتبرير تحويل واجهة أقدم جامع في مدينة الجزائر. وبدأت أشغال بناء هذه الواجهة سنة ١٨٣٦م، ووضعت أول حجر بناء من طرف الدوق نيمور (Duc Nemours)، في ٦ ديسمبر ١٨٣٦م. ثم تواصلت الأعمال داخل الجامع إلى غاية سنة ١٨٥٠م.[٢٧]

يبلغ عدد هذه الأعمدة حاليا ثمانية عشر (١٨)عمودا صغيرا و(١٨)عمودا كبيرا، و هي من الرخام الأبيض الناصع.

وتتكون هذه الأعمدة من ثلاثة أجزاء رئيسية هي القاعدة والبدن والتاج، وترتفع فوق التاج وسادة مسطحة الوجهيين (القرمة) و التي يرتفع فوقها العقد (أو الحدارة) [٢٨].

١- **الأعمدة الكبيرة:**

يبلغ عدد الأعمدة الرخامية الكبيرة ثمانية عشرة عمودا، وتتكون من:

- **القاعدة:**

وهي الجزء السفلي الذي يقوم عليه البدن، يبلغ طولها ٦٥سم وارتفاعها ٣٣سم.

- **البدن:**

وهو أكبر وأهم عنصر في العمود، أسطواني الشكل، يبلغ طوله ٣٣٠سم. وقطره ٥٠سم

- **التاج:** كل تيجان هذه الأعمدة الكبيرة والصغيرة ذات الطراز الكورانتي[٢٩]

تقدر أبعاده ب٨٠سم X٦٥سم ، وقطره ب٥٠سم. يتألف من صف من أوراق الأكانتس المتصلة ملساء السطح تحيط بأسفل التاج، وتنطلق منها قرون الرخاء ملتفة، زينت في مركزها بورقة الأكانتس. و تنبثق من الأركان الأربع من التاج عناقيد العنب.

٢- **الأعمدة الصغيرة:**

يبلغ عددها ثمانية عشرة عمودا وتتكون من:

- **القاعدة**

يبلغ طولها ٣٠سم وارتفاعها ١٠سم.

---

26 -Nabila Oulebsir; Les usages du patrimoine; monuments, musées et politique coloniale en Algerie(1830-1930), édition de la maison des sciences de l'homme, Paris, 2004, p.84

27 -Ibid

٢٨ - (عبد الفتاح) بن جدو؛ استخدامات الرخام في مساكن مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ٢٠١٠، ص ٩٨

٢٩ - سمي كذلك نسبة لمدينة كورنثيا باليونان قديما، وقد ظهر هذا الطراز لأول مرة في منتصف القرن ٥ ق.م.

المنارة للاستشارات
www.

- **البدن:**
وهو أسطواني الشكل، يبلغ طوله ٢٣٥سم. وقطره ٢٥سم
- **التاج:**
هذا النوع من التيجان كان الأكثر انتشارا في العمارة الجزائرية، يقدر أبعاده (٣٥سم X٣٠سم)، يتألف من صف من أوراق الأكانتس المتصلة تحيط بأسفل التاج، تنطلق منها قرون ملتفة، زينت في مركزها بعنصر الهلال.

وذكر رشيد دوكالي في كتابه مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني أن التيجان والأعمدة المخصصة للمباني الدينية كانت تجلب من جنوة و ليفورن الإيطالية، وبالنظر إلى أنها كانت موجهة لمدينة الجزائر، فقد كان ينقش على التيجان نقش الهلال [٣٠].

ج- **الكتابة الأثرية**: (صورة رقم ٣)

لوحة رخامية : موضوعة في المتحف الوطني للآثار القديمة و الإسلامية.

العرض: 1,50م

ارتفاع : ٤٠ سم.

علو الحروف :10 سم

عدد الحقول: ٦

عدد السطور : 2.

النص:

السـطــر 1:

الحقل 1: حبّذا اثار جليل مشيدا

الحقل 2: ونعم الخير قد ابتنى مؤكدا

الحقل 3: اميرنا صاحب الفضل محمد باشا

السـطــر 2:

الحقل 1: اتقن بتصويب قبلته مسدّدا

الحقل 2 : لحديث قيل ان فى الجنّة بيتا

الحقل٣: قد نالها من بنى لله تعالى مسجدا

٣٠ - رشيد دوكالي، مرجع سابق، ص ١٢٧ ٥٧٦

المنارة للاستشارات
www.

وكل واحد منهما مجزأ إلى ثلاثة حقول مستطيلة الشكل. وقاعدتها اللونية بيضاء، وملئت الفراغات بين تلك الحقول بفروع نباتية دقيقة.وجاءت الحروف متداخلة تداخلا أنيقا.

إلى جانب هذه الآثار الباقية تعتبر اللوحة التي رسمها **أ. جني** (Alexandre Genêt)[٣١] من أقدم ما وصل إلينا عن هذا الجامع الذي لم يعد له أثر.(صورة رقم ٢)

ويتضح مما تقدم أنّ هذه الآثار الباقية لجامع السيدة الذي جدد بناءه محمد عثمان باشا كانت من أبدع الفنون المعمارية الجزائرية في الفترة العثمانية.

٣١ - ولد الرسام **ألكسندر جني**(Alexandre Genêt) في كومارسي (Commercy) (Meuse) بفرنسا سنة ١٧٩٩م، وكان من خرجي المدرسة العسكرية المشهورة تاريخيا وهي المدرسة الفرنسية Saint- Cyr، وفي سنة ١٨٣٠م كلّف من قبل هيئة قيادة الأركان برسم أهم المعالم التاريخية في الجزائر، ورافق جيش الحملة الفرنسية من سنة ١٨٣٠ م و١٨٣١م إلى مدينة الجزائر، وفي ١٨٣٣م إلى بونة (عنابة)، وفي ١٨٣٥إلى ١٨٣٧ إلى معسكر وتلمسان وقسنطينة. وكان أيضا عضوا بارزا في اللجنة العسكرية المكلفة بالطبوغرافية، مما أعطى لرسمه لدار الجنينة قيمة هامة.
وكل هذا غايته تدمير كل معلم ذي طابع إسلامي، حتى تصبح مدينة الجزائر أوروبية، أنظر؛
-Elisabeth Cazenave; Les artistes de l'Algerie. Dictionnaire des peintres, sculpteurs, graveurs 1830- 1962, Bernard Giovanangeli, éditeur, association Abd- el- Tif, 2001, p.258

المنارة للاستشارات
www.

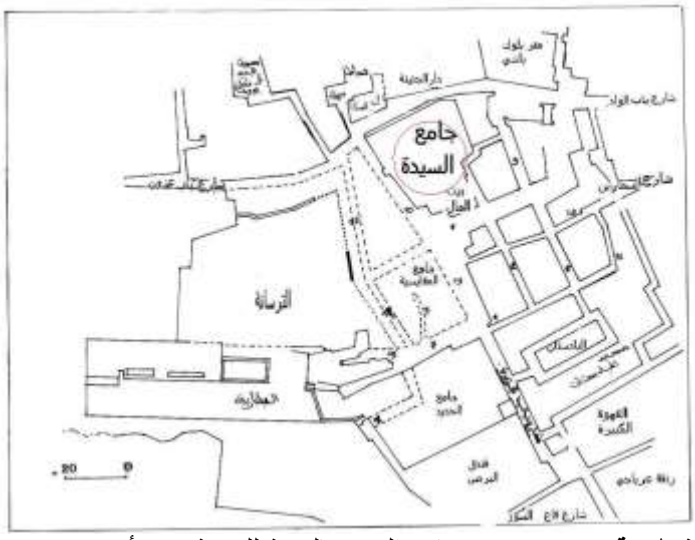

شكل رقم (٠١): موقع جامع السيدة بالنسبة للمدينة عن/ أندري ريمون

صورة رقم(١): جامع السيدة خلال القرن السادس عشر .
ع/ الأرشيف الإسباني

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (٠٢): موقع جامع السيدة بالنسبة لدار الإمارة في مدينة الجزائر
عن/ ألكسندر جيييني

صورة رقم(٣): الكتابة الأثرية لجامع السيدة
-المحفوظة في المتحف الوطني للفنون القديمة والإسلامية-

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (٤): المنبر الرخامي لجامع السيدة(الموجود حاليا في جامع الجديد)

صورة رقم (٥): الأعمدة الرخامية لجامع السيدة كواجهة رئيسة لجامع المرابطين

المنارة للاستشارات
www.

قائمة المصادر والمراجع:

- وثائق المحكمة الشرعية.
- الزهار (أحمد شريف)؛ مذكرات أحمد شريف نقيب أشراف الجزائر(١١٦٨-١٢٤٦ هـ/١٧٥٤-١٨٣ م)، تحقيق، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ١٩٨٠ م.
- الشويهد (عبد الله بن محمد)؛ قانون أسواق مدينة الجزائر (١١٠٧-١١١٧هـ/ ١٦٩٥م- ١٧٠٥م)، تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦.
- بن جدو (عبد الفتاح)؛ استخدامات الرخام في مساكن مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ٢٠١٠.
- بنور(فريد) ؛ المخططات الفرنسية تجاه الجزائر (١٧٨٢- ١٨٣٠)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.
- بورابة (لطيفة)؛ التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية(حلب ودمشق)، دراسة أثرية فنية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر،معهد الآثار، ٢٠٠٩.
بورابة (لطيفة)؛ « نماذج من الزخرفة الهندسية في عمارة جامعي أبي مدين والحلوي بتلمسان. ضمن أعمال ملتقى دولي بتلمسان ٢٠١١، تلمسان بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج١، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ص٢٤٣
- بورابة (لطيفة)؛ « تهديم الفرنسيين دار الإمارة(دار الجنينة) بمدينة الجزائر.».
في أعمال الملتقى الثالث حول دور الآثار وأهميتها في كتابة التاريخ الوطني، معهد الآثار، ٢٠١٣، ص ١٩٤
- بورويبة (رشيد)؛ الدولة الحمادية : تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، ١٩٧٧م
- دوكالي(رشيد)؛ مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، ترجمة لطيفة بورابة، ENAG، الجزائر، ٢٠١٣
سعد الله (أبو القاسم)؛ تاريخ الجزائر الثقافي، ج٥، (١٨٣٠- ١٨٥٤)، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٥.
غازي (رجب محمد)؛ « المنبر في العصر الإسلامي الأوّل»، في مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، ١٩٧٥، ٢١١ إلى ٢٣٠
-غطاس(عائشة)؛ الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ١٧٠٠-١٨٣٠مقاربة اجتماعية- اقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار- الرويبة.

المنارة للاستشارات
www.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

- Arseven(C.E); Les arts décoratifs Turcs, Milli Egitim, Basinevi Istanbul, (S.D).

- Boyer(P); la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Hachette, Paris, 1964.

- D'Arvieux(Chevalier); Mémoires du Chevalier D'Arvieux, t.5,Paris, MDCCXXXV.

- Delphin(G); Histoire des pachas d'Alger de 1515 à 1745, extrait du Journal Asiatique, Imprimerie Nationale, Paris, MDCCCCXXV.

- Devoulx(A) ;Les édifices religieux de l'ancien Alger,Alger,Typographie Bastide.

- Dokali(R) ; Les mosqueés de la periode Turque à Alger, SNED, ALGER, 1974

- Haedo; « Topographie et histoire générale d'Alger». In revue Africaine, traduit par Monnereau et Berbrugger(A), 1871.

- Raymond (André) ; « Le centre d'Alger en 1830 ». In Revue de l'occident et de la Méditerranée, n° 31,1981.p.31

- Oulebsir Nabila; Les usages du patrimoine; monuments, musées et politique coloniale en Algerie (1830-1930), édition de la maison des sciences de l'homme, Paris, 2004.

المنارة للاستشارات

www.